وَهَلْ تَصْلُحُ للوِزَارَةِ يا غُلامُ؟!

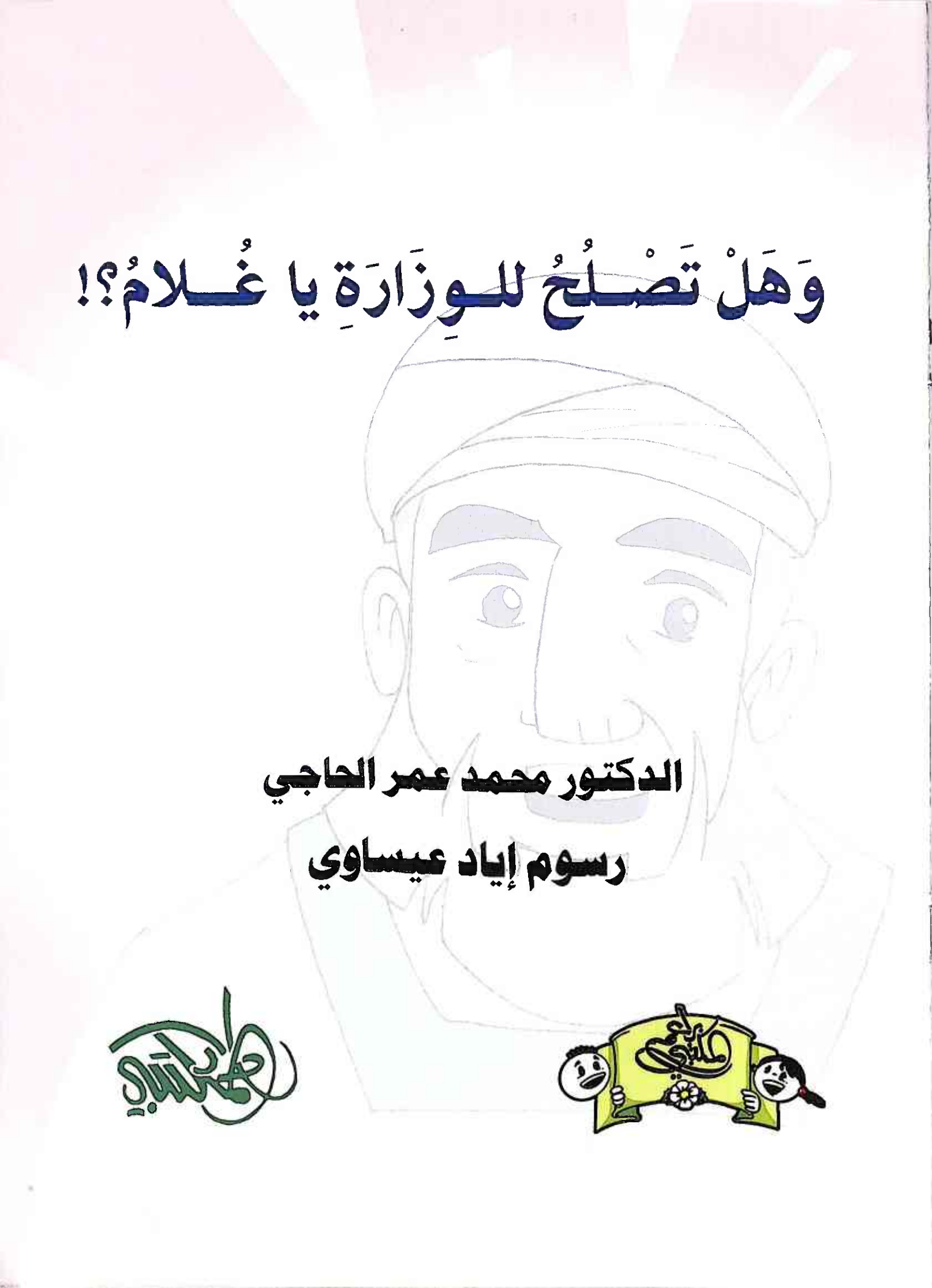

الدكتور محمد عمر الحاجي

رسوم إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسرع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - الشارقة - القاهرة
دمشق هاتف: 00963112248433 فاكس: 00963112248432 ص.ب: 31426
الشارقة هاتف: 0097165512262 فاكس: 0097165512264 ص.ب: 3309
Email:almaktabi@gmail.com
www.almaktabi.com

* وهَلْ تَصْلُحُ للوِزَارَةِ يا غُلام؟! *

وهَذِهِ حِكَايةٌ رَائِعةٌ ، فِيها مِنَ الدُّروسِ والعِبَرِ والعِظَاتِ الشَّيءُ الكَثِيرُ ، ومِحْوَرُهَا يَدُورُ حَوْلَ غُلَامٍ عَربيٍّ ذَكِيٍّ ، قَدْ وَقَفَ أَمَامَ المَلِكِ مَوْقِفاً يَصْعُبُ عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ الرِّجَالِ الصُّمودُ فيه ، ومُلَخَّصُ الحِكَايَةِ مَا يلِي:

مَرَّ أَحَدُ المُلوكِ بِغُلامٍ عَرَبيٍّ ، يَسُوقُ حَيَوَاناً بِعُنْفٍ وشِدَّةٍ ، والحَيوانُ بَطِيءُ الحَرَكَةِ قَليلُ الهِمَّةِ.

فَقالَ المَلِكُ: يا غُلَامُ!! ارْفِقْ بَهذا الحَيوانِ.

فقالَ الغُلَامُ: يا أَيُّها المَلِكُ!! في الرِّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ لَهُ!

قَال المَلِكُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ وإِنِّي لا أَرَىٰ مَضَرَّةً غَيْرَ الذي هُوَ فِيْهِ الآنَ؟

فَقَالَ الغُلاَمُ: ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَبْطَأَ يَطُولُ طَرِيقُهُ ، وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ ، فَفِي العُنْفِ بِهِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ.

قَالَ المَلِكُ: وَمَا الإِحْسَانُ إِلَيْهِ؟

فَقَالَ الغُلاَمُ: يَخِفُّ حِمْلُهُ ، ويَطُولُ أَكْلُهُ.

فأُعْجِبَ المَلِكُ بِجَوابِهِ وكَافَأَهُ.

فَقَالَ الغُلاَمُ: هُوَ رِزْقٌ مَقْدُوْرٌ ، وواهِبٌ مَأْجُورٌ.

قَالَ المَلِكُ: لَقَدْ أُمِرْتُ بِإِثْباتِ اسْمِكَ في بِطَانَتي.

فَقَالَ الغُلاَمُ: كُفِيْتَ مَؤونَةً وَرُزِقْتَ بِهَا مَعُونَةً!

قَالَ المَلِكُ: ولولا حَدَاثَةُ سِنِّكَ لاسْتوزَرْتُكَ ـ أَي: لَجَعْلتُكَ وَزِيْراً لي ـ فَقالَ الغُلاَم: لن يُعْدَمَ الفَضْلَ مَنْ رُزِقَ العَقْلَ!

قال المَلِكُ: وهَلْ تَصْلُحُ لذلِكَ يا غُلاَمُ؟

فَقَال الغُلامُ: إِنَّما يَكُونُ المَدْحُ والذمُّ بَعْدَ التَّجْرِبَةِ ، ولا يَعْرِفُ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى يَبْلُوَهَا.

* أستَغْفرُ اللهَ لذنْبي كُلّه!! *

وهَذِهَ وَاحِدَةٌ مِنَ القِصَصِ المُفيدَةِ ، حَدَثَتْ مَعَ الحَافِظِ الأَدِيبِ واللُّغَويِّ الكبيرِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ قُريبٍ ، والمعروفُ بالأَصْمَعِيِّ (ت: ٢١٦ هـ).

وبَطَلَةُ القِصّةِ فَتَاةٌ تَعِيْشَ مَعَ أَهْلِهَا في البَادِيَةِ ، وفي القِصَّةِ دُرُوسٌ وعِبَرٌ كَثيرةٌ ، ومُلخَّصُها:

مَرَّ الأَصْمعيُّ عَلى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ ، فَوَجَدَ بِنْتاً صَغيرةً قَدْ بَلَغَتْ خَمْسَ سِنينَ أو سِتَّاً ، وهِيَ تَقُولُ:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنْبِي كُلِّه!

فقالَ لَها الأَصْمَعيُّ: يا فَتاةُ! مِمَّ تَسْتَغْفِرِيْنَ ولَمْ يَجْرِ عَلَيْكِ قَلَمٌ؟ فقالَتْ:

أَسْتَغْفِرُ الله لذنبي كلِّه
قَتَلْتُ إِنْسَاناً بغيرِ حِلِّهِ
مِثْلَ غَزَالٍ نَاعِمٍ فِيْ دَلِّهِ
انتصَفُ اللّيلُ ولم أُصَلِّهِ

فَتَعَجَّبَ الأَصْمعيُّ مِنْ قَوْلِها ، وفَهِمَ أَنَّها قَدْ أَرَادَتْ مِن قَوْلِهَا: (قتلْتُ إنساناً بغير حلّه): أَنَّها قَتَلتْ نَفْسَها بَعَدمِ فِعْلِ الطَّاعَاتِ ، حَيْثُ انْتَصَفَ اللَّيلُ ولم تَقف بَيْنَ يَدي رَبِّها سُبْحَانه وتَعَالَى!! ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْها وَقالَ: ما أَفْصَحَكِ يا فَتاةُ!

فقالتِ الفَتَاةُ: شَيخٌ فَانٍ وتُخَالِطُ الغَوانِي.

فَقالَ الأَصْمَعِيُّ: وإِنَّما أَتَعَجَّبُ مِنْ فَصَاحَتِكِ.

فَتَبَسّمَتِ الفَتَاةُ وَقَالَتْ: وَهَلْ ترَكَ القُرْآنُ لأَحَدٍ فَصَاحَةً؟!

فقالَ الأَصْمَعِيُّ: نَبِّهيْنِيْ عَلَى آيةٍ فَصِيْحَةٍ مِنْهُ ـ والأَصْمَعِيُّ هُوَ مِنْ أَكْثَرِ الذين يَعْرِفونَ فَصَاحَة كتَابِ الله ، ولكنّه سَأَلَ الفَتاةَ مِنْ بَابِ الامتحانِ لَهَا ـ قالتِ الفَتاةُ: إِقْرا قَوْلَ الله تَعَالىٰ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧].

ثُمَّ قَالَتْ: يا هَذَا!! لَقَدْ جَمَعَتِ الآية أَمْرين وَهُمَا: أَرْضِعِيْـهِ وأَلْقِيْـهِ ، ونَهْيَيْـنِ وَهُمَـا: لا تَخَـافِـي وَلا تَحْزَنِي ، وَخَبَرَيْنِ تَضَمَّنا بِشَارَتَيْنِ وَهُمَا:

إِنّا رادّوه إِلَيْكِ وجَاعِلُوه مِنَ المُرْسَلينَ!!

فأَطْرَقَ الأَصْمَعِيُّ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ اعتنتِ الأُمَّةُ الإِسْلاميّةُ صِغَارَاً وكِبَاراً بكلّ ما له علاقة بالقرآن الكريم ، وهذا من بابِ قولِ الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

* لله دَرُّكُمَا وَدَرُّ أَبيكُما *

وهَذِهِ قِصَّةٌ أُخْرَى مِنَ القِصَصِ المفيدَةِ ، التَّي تَدُلُّ عَلَى ذَكَاءِ إِحْدَى البَنَاتِ بحيْثُ يَسْتَفيدُ الإِنْسَانُ مِنْها الشَّيءَ الكَثيرَ ، وملخَّصُهَا:

صَحِبَ رَجُلٌ كَثيرُ المَالِ عَبْدَيْنِ في سَفَرٍ ، فَلَمَّا توسَّطا الطَّرِيقَ هَمَّا بِقَتْلِهِ ، وَلمَّا أَيْقَنَ الرَّجُلِ بمصيرِهِ المَحْتُومِ ، قالَ للعَبْدَيْنِ: إِذَا كَانَ لا بُدَّ لَكُما مِنْ قتلي

فَأُقْسِمُ عَلَيْكُما أَنْ تَمْضِيَا إِلَى دَارِي ، وتُنشِدَا ابنتيَّ هَذا البَيْتَ.

قالا: وما هُوَ؟ فَقَالَ.

مَـنْ مْبلِـغٌ بِنْتَـيَّ أَنّ أَبَـاهُمَـا

لله درُّكُمَـــــا وَدَرُّ أَبِيْكُمَـــــا

فَقَالَ أحدُهَما للآخَرِ: ما نَرى فِيْهِ بَأْسَاً!

ولمّا قَتَلاهُ وأَخَذَا مَا مَعَهُ مِنْ مَالٍ وَمَتاعٍ ، جَاءَا إِلىٰ دَارِهِ ، فَطَرَقَا البَابَ فَخَرجَتْ ابنتُه الكُبْرى ، فَقَالاَ لها: إِنَّ أباكِ قَدْ لَحِقَهُ ما يَلْحَقُ النَّاسَ ، وآلى عَلَيْنَا أَنْ نُخْبِرَكُمَا بِهَذَا البَيْتِ.

فقالَتِ الكُبْرىٰ: مَا أَرَىٰ فِيْه شَيْئاً تُخْبِرَانِي بِهِ ، ولكِنْ اصبِرا حَتَّى أَسْتَدْعِيَ أُخْتِي الصُغْرَى.

فاستَدْعَتْها وأَنْشَدَتْ لَهَا بَيْتَ الشِّعرِ ، فَصَاحَتْ الفَتَاةُ الصَّغِيْرةُ ، وقَالَتْ: هذانِ قَتَلا أَبي يا مَعْشَرَ العَرَبِ ، ما أَنْتم فُصَحَاء!!

قَالَتْ: المِصْراعُ - هو الشطر الأَوَّلُ مِنْ بَيْتِ

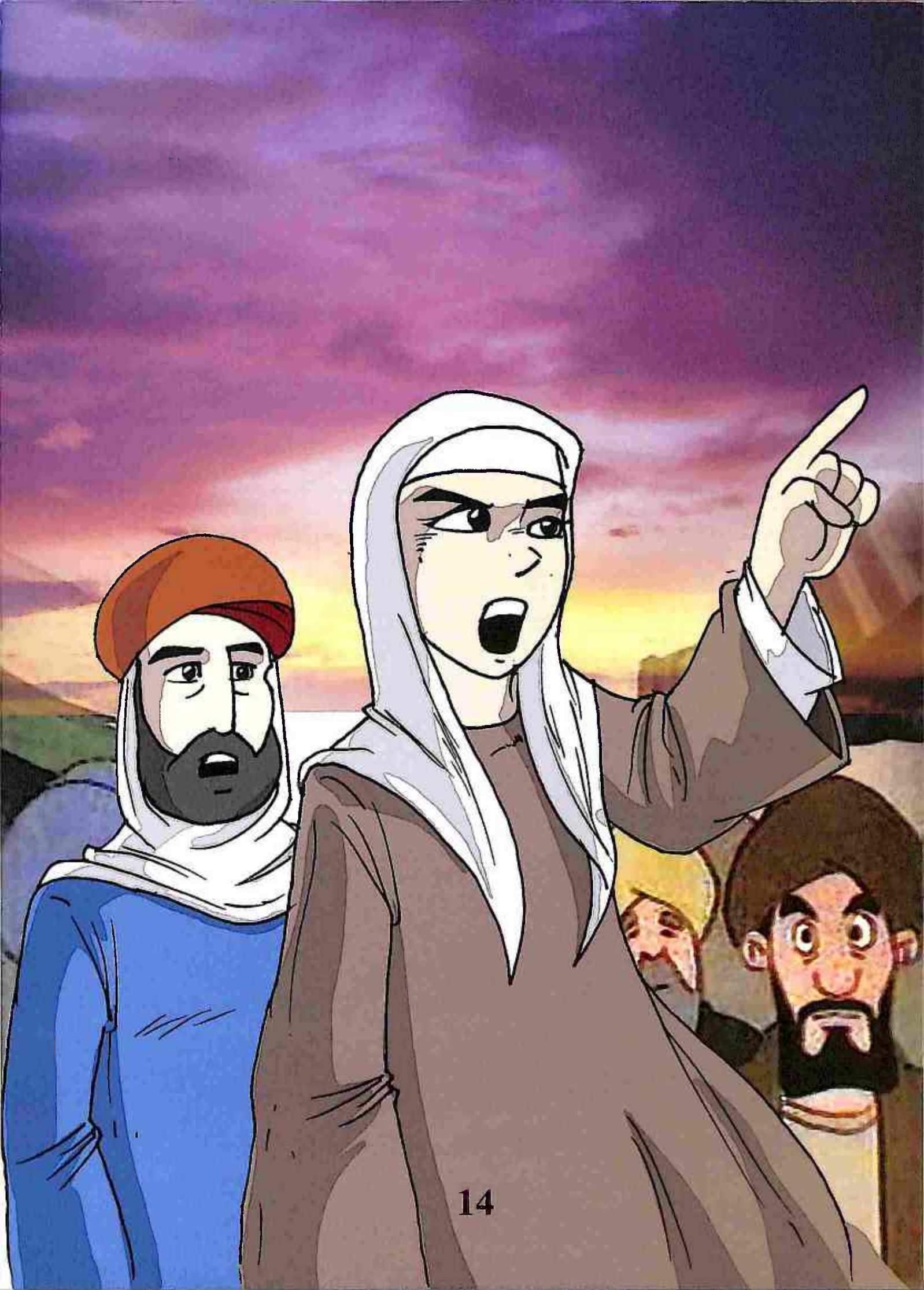

الشِّعْرِ - الأَوَّلُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ ثَانٍ ، والثَّاني يَحْتَاجُ إِلَىٰ ما يُكْمِلُهُ ، ولا يَلِيْقُ أَحَدُهما بالآخَرِ!!

قَالُوا: فَما يَنْبَغي أَنْ يَكُونَ؟

قَالَتِ الفَتَاةُ: يَنْبَغِي أَنْ يَكونَ كالتَّالي:

مَـنْ مُبْلِـغٌ بِنْتَـيّ أَنّ أَبَـاهُمَـا
أَمْسَـىٰ قَتِيْـلاً بـالفَـلاَةِ مُجَنْـدَلاَ

لله درُّكُمَـــا وَدَرُّ أَبِيْكُمَـــا
لَنْ يَبْرَحَ العَبْدانِ حَتى يُقتَلاَ

وَبِالفِعْلِ تَمَّ التَّحْقِيقُ مَعَ العَبْدين ، فاعْتَرفَا بالقَتْلِ ، وكانَتْ نِهَايَتُهما القَتْلَ!!

* غُلامٌ على أُذُنِهِ قَلَمٌ!! *

أَخْرَجَ الإِمَامُ ابنُ عَبْدِ البَرِّ هذِهِ القِصَّةَ الرَّائِعَةَ:

دَخَلَ الخَليفَةُ المَأْمُونُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الدِّيوانِ - وهُوَ المَكَـانُ الـذّي كَـانُـوا يسجّلـون فِيْـهِ أَسْمَـاءَ الجُنـدِ

وأُعْطِيَاتِهم ومَا إِلَىٰ هُنَالِكَ ، فَنَظَرَ إِلىٰ غُلامٍ جَميلٍ عَلَىٰ أُذنِهِ قَلَمٌ!

فَقالَ الخَليفَةُ: مَنْ أَنْتَ يا غُلاَمُ؟

فَقالَ الغُلاَمُ: يا أَميرَ المُؤْمنينَ! أَنَا النّاشِىءُ في دَوْلَتِكَ ، والمُتَقَلِّبُ في نِعْمَتَكَ ، والمؤمِّلُ لخدمتِكَ ، الحَسَنُ بنُ رَجَاءٍ.

فَقالَ الخَلَيفةُ: بالإِحْسَانِ في البَديهَةِ تَتَفاضَلُ العُقولَ ، ثُمَّ أَمَر بِنَقْلِ اسمِه من مراتِبِ الدّيوانِ إِلى مَراتِبِ الخَاصَّةِ ، وأَن يُعطى مئة ألفِ دِرْهَمٍ مَعُونَةً!!

* * *